الموت الفرعونى :
حياة أخرى . !

الحياة مرحلتان : أن نعيش . وأن نعيش بعد الموت . أو بعبارة أخرى : هذه الحياة هى مرحلة الإعدادية والثانوية ، والموت هو الجامعة .. أو بعبارة ثالثة : إن الإنسان فى هذه الحياة كمن يطارد بطة ، فيجرى وراءها ، ثم يجد نفسه فى أرض غريبة لم يرها من قبل.. هذه الأرض الغريبة هى الحياة بعد الموت .

هذا هو معنى الحياة بعد الموت عند الفراعنة . فهم يرون أن الحياة بعد الموت هى الحياة الحقيقية ، وليست حياتنا هذه إلا نوعاً من العمل الطيب لادخار الحسنات والأموال التى تنفعنا عند ما نذهب إلى العالم الآخر ؛ ولذلك حرص الفراعنة على تحنيط الموتى فهم يخرمون الدماغ حتى يخرج منه المخ ثم يحنطونه ، ويخرمون البطن حتى تخرج منه الأحشاء ثم يحنطونها ويضعونها فى إناء إلى جوار الميت . وفى سبعين يوماً يتم تحنيط الميت بوضعه فى الصمغ وفى العسل وفى الأملاح والعطور وتجفيفه .. ثم صبغ أظافر الأرجل واليدين وتثبيت الأظافر بسلوك من الذهب .

وحول قبر الميت يرسمون له خريطة الحياة الثانية . وتتحول جدران المقبرة إلى « بطاقة شخصية » يصفون فيها ملامح الميت وأعماله وما يحبه من الأكل والشرب وما قدم من حسنات ، ويشرحون له كيف يستعمل أدوات العمل والزينة .

وعندما تنكسر ذراع أو رجل أحد الموتى يضعون له أطرافاً صناعية . وكثيراً ما قام الملوك بنبش مقابر خصومهم من الموتى . وشوهوا صورهم وفقأوا عيونهم . لماذا ؟ حتى يعيش هؤلاء مشوهين بعد الموت. والملكة حتشبسوت بعد أن ماتت قام زوجها الثانى وهو فى نفس الوقت ابن زوجها الأول من امرأة أخرى ، فحطم تماثيلها ، ومحا اسمها حتى إذا بعثت بعد ذلك كانت بلا اسم .. كانت فاقدة الذاكرة ، فلا تعرف أنها كانت ملكة أو خادمة ملكة !

ومنذ أشهر أعلن بعض الأطباء الإيطاليين أنهم عثروا على عقود ذهبية وماسية فى مومياء مصرية .

وقالوا إن هذه العقود كانت موجودة تحت اللفائف التى تحيط بجسم الميت .. ويظهر أن الفراعنة قد لجأوا إلى نفس الحيلة التى يلجأ إليها مهربو المخدرات الآن : أى إخفاء المخدرات فى أماكن من الجسم . والفراعنة يحتالون بذلك على اللصوص حتى لا يكونوا مفلسين يوم القيامة !

ومن المؤكد أن هؤلاء الملوك سيمدون أيديهم إلى الناس يوم « القيامة الفرعونية » بعد أن سرق منهم اللصوص والخواجات كل شيء !

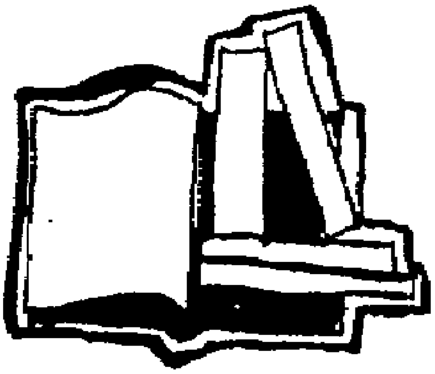

البوصيرى أصدقهم

رجل طيب مؤمن . كان عندى إحساس أن شيئاً سوف يحدث له . كان إذا تناول طعامه انفرد بنفسه فى انتظار ذلك الشىء .. وإذا نام ذهب إلى غرفة بعيدة وتمدد على الفراش وانتظر .. لم يكن ينتظر الموت ، وإنما كان عنده إحساس غريب بأن زائراً سوف يدق الباب ، وأن هذا الزائر من بلاد بعيدة ، وأن لديه رسالة خاصة .. ولكن من أين أتى بهذه الإحساسات ؟ لا يعرف . وإنما يجب عليه أن ينتظر وأن يكون نظيفاً طاهراً . ولم يحدث أحداً من الناس فى ذلك . وكان هذا الرجل نصف مشلول . وفى نومه رأى النبى ولمسه بيده الكريمة ، ونهض الرجل الصوفى ، هو الشيخ البوصيرى ، وهو شاعر مصرى ظريف أيضاً .

ويقول البوصيرى : إن الرسول ألقى عليه « بردة » أى ثوباً . ووجد البوصيرى نفسه ينظم قصيدته الجميلة التى اسمها البردة فى ١٨٢ بيتاً ، ولم يكملها مرة واحدة ، وإنما توقف قبل نهايتها ويقول إنه رأى الرسول مرة أخرى فأكمل له أحد أبياتها ...

ولم تنتشر قصيدة فى مدح الرسول كما انتشرت « بردة » البوصيرى هذه . فالناس يقرءونها فى كل البلاد العربية ، فى الصباح والمساء ، ويتبركون بأبياتها وبتلاوتها ، وقد طبعت هذه القصيدة فى كل عواصم الشرق الأوسط ، وترجمت إلى كل اللغات ، وقلدها مئات الشعراء . وأشهر الذين قلدوا البوصيرى أمير الشعراء شوقى فى قصيدته المعروفة :

« نهج البردة » أى على نهج البردة – والتى تغنى أم كلثوم بعض أبياتها ولكن البوصيرى كان أكثر إيماناً ..

فالبوصيرى فى قصيدته يشكو من عذابه فى حب الرسول وأهل البيت ، ويطلب من الناس أن يعذروه .. فيقول :

يا لائمى فى الهوى العذرى معذرة
منى إليك ولو أنصفت لم تلم

وقبل البوصيرى قال الشاعر ابن الفارض :

يا لائماً لا منى فى حبهم سفهاً
كف الملام فلو أحببت لم تلم

وبعد البوصيرى قال شوقى :

يا لائمى فى هواه والهوى قدر
لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم

ولكن البوصيرى كان أصدق وأكثر إخلاصاً وأكثر شفافية ، وأكثر استغراقاً فى فنه حتى رأى الرسول فأنشدها .. لقد شفاه الإيمان ، وخلده الفن !

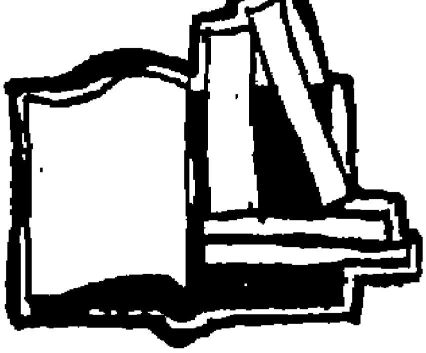

نحن والسياح ...

من هو السائح ؟

إنه زبون أجنبي اختار بلدنا ليستريح . ولذلك يجب أن نحرص على أن يستريح . فى أثناء الراحة يجمع معلومات عن بلدنا . ونحن حريصون عليه وعلى راحته وعلى المعلومات التى يلتقطها عن بلدنا ليذيعها فى بلاد أخرى . أى المطلوب هو أن يتحول السائح إلى صديق يتذكر مزايا بلادنا ويغفر لنا عيوبنا . ولا يوجد بلد فى الدنيا خال من المزايا ومجرد من العيوب . فالمطلوب من السائح أن يمضغ لنا الزلط وألا يعد علينا الغلط . وهذا مطلب مستحيل ؛ لأننا أنفسنا لا نمضغ الزلط وإنما نلقى بالزلط على الأرض . ولأننا أيضاً نبالغ فى أخطاء أنفسنا . فليس من السهل إرضاء كل الناس : المواطنين والسائحين . والناس لم يعد لديهم صبر . كل إنسان يريد — بسرعة — أن يصل إلى ما يريد ، أن ينصلح حاله وحال الدنيا كلها فى أقصر وقت ممكن . وهذا مستحيل !

ولذلك أمامنا وقت طويل لإصلاح عيوبنا . فالسائح لن يرى بلادنا جنة تجرى من تحتها الأنهار إلا بعد وقت طويل ، وهذا طبيعى . فعلى الرغم من حرصنا على أن نريح السائح ، فإننا حريصون على أن نريح المواطنين ، وحريصون على أن يتفرج السائح علينا ونحن نعمل على راحة أنفسنا : بالعمل واللهو .

ولكى نصلح عيوبنا ، أمام أنفسنا وأمام غيرنا ، نحن فى حاجة إلى زمن طويل . يجب أن نعرف الحجم الحقيقى لعيوبنا ، وأن نعلم كيف يمكن إصلاح العيوب ، فإذا أصلحناها يجب أن نتعلم كيف لا نعود إليها ...

مثلا : فى كثير من شوارع القاهرة طوب وزلط .. وحفر على جانبى الطريق . وإلى جوار الحفر انخلعت أعمدة النور . وهذا منظر مخيف — مخيف لنا — لأننا نخشى أن تقع عيون السياح الأجانب !

ولكن كيف يمكن أن نمد الأنابيب دون أن نحفر الأرض ؟ وكيف يمد السياح الأنابيب فى بلادهم ؟ كيف نبنى بيتاً جديداً دون أن يكون هناك تراب وزلط وضوضاء ؟ كيف نسوى الشوارع ونرصفها دون تعطيل لحركة المرور ؟

إن الخوف من السائحين لا يخيفنا ، لأننا نعمل فى بلادنا ما هو ضرورى وما هو طبيعى . وإذا لم نعجب السياح هذا العام فسوف نعجبهم فى الأعوام القادمة ..

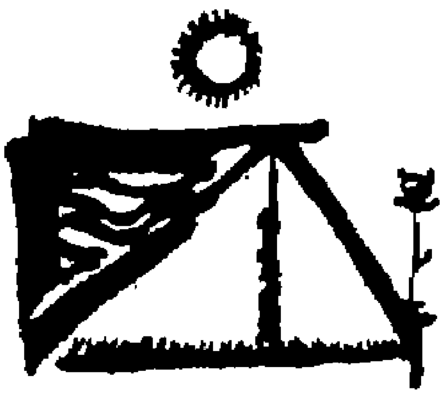

الملاعب والشوارع

اللهم لا اعتراض على الكرة ولعب الكرة والاهتمام بها .. ولا اعتراض على أن الكرة قد أدت إلى الاهتمام بالأقاليم وأبناء الأقاليم ، والناس الطيبين الذين لم تسعدهم الظروف بأن يولدوا فى القاهرة ، ويكونوا من أبناء أعضاء أندية الأهلى والزمالك والترسانة ..

ولا اعتراض على أن يتعلم الناس الطاعة والنظام وحب القانون واحترام الحكام ، فى أثناء اللعب وفى أثناء مشاهدة المباريات ..

ولا يمكن أن يكون هنالك اعتراض على أن يتعلم اللاعب من خلال التمرين والحرص على اللياقة : أن يعنى بصحته الجسمية والنفسية .

وطبعاً لا اعتراض على أن تلتقط الكرة عدداً كبيراً من الكتاب والنقاد الفنانين الذين يحولون مباريات كرة القدم إلى أعمال أدبية ممتعة ، وإلى أن تصبح الكتابة الكروية والرياضية عموماً ذات أسلوب خاص ولها تعبيرات جديدة سريعة .

إن كرة القدم قد أكسبت الناس لاعبين ومتفرجين وكتاباً : دماء جديدة ومعارك غريبة ، مثيرة .

لا اعتراض على شيء من هذا كله . ولكنى أعترض على أن تتحول شوارع القاهرة إلى ملاعب لكرة القدم . والشوارع — كأية ملاعب — فيها خطوط للملعب . وبدلا من خشبات المرمى ، تمتلىء الشوارع بالطوب والزلط . ولأن اللعب يجرى ليلا ، فالطوب يجب أن يكون عالياً بارزاً ، ولأن كرة القدم تستغرق اللاعبين الصغار ، فإنهم لا يدرون

بالسيارات من ورائهم وأمامهم ؛ ولذلك كثيراً ما توقفت السيارات حتى تتفادى اللاعبين الذين استغرقتهم الرياضة الشعبية. وكثيراً ما عجزنا عن تفادى اللاعبين . وهؤلاء اللاعبون الشباب لا يحملون معهم كل ليلة معالم الملعب . ولذلك يتركون الطوب والظلط فى مكانه. وهذ الطوب لا يتحرك — طبعاً ، وإنما تتحرك إليه السيارات وتتكسر بسببه . فالطوب هو الكرة العتيقة التى يجرى إليها الهدف كل يوم وكل ليلة !

ومن الغريب جداً أن نجد ملاعب كرة منصوبة ليلا ونهاراً إلى جوار محافظة القاهرة .. وأغرب من ذلك أن نجدها فى شارع الجلاء أمام مبنى المرور . إن احترامنا للشارع واللاعبين فى الشارع ورجل الشارع لا يمكن أن يذهب إلى أن ندوس الشارع وقوانين المرور والحركة فى الشارع .. ولا أن تصبح كرة القدم أسلوباً مهذباً للانتقام من كل صاحب سيارة يصطدم فى الليل بطوب الملاعب وزلطها .. ويظل صاحب السيارة المسكين يهلوس طول الليل ويحلم بقطع الغيار .

إننا يجب أن نعدل بين الشوارع والملاعب ! فالكرة للملاعب ، والمرور للشوارع !

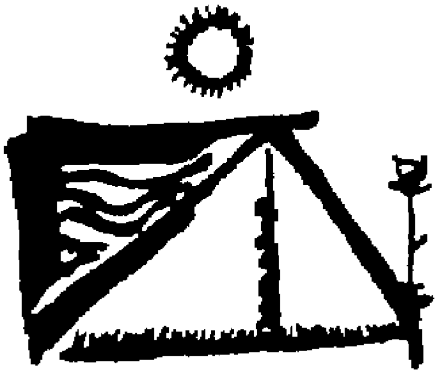

أنواع من الناس . . .

هناك ثلاثة أنواع من الناس : واحد يريد أن يعيش . وواحد يريد أن يستفيد ، وواحد يريد أن يفيد !

والذى يعيش فقط هو مثل النباتات والحيوانات ، لا يسأل نفسه ما معنى هذه الحياة ؟ .. ما معنى حياتى ؟ .. إنه يريد أن يأكل ويشرب وينام فى أثناء النوم يجيء الأطفال ويتقدم فى السن ويموت . وهذا النوع من الناس ليست له مشكلة . ولذلك فهو لا يقرأ ولا تهمه القراءة . ولا يهمه أن يفكر فيه أحد ، لأنه لا يفكر فى أحد . ولهذا السبب سأكتفى بهذا الكلام عنه .. !

أما الذى يريد أن يستفيد من الحياة فهو ينظر إليها على أنها صفقة تجارية . وهو يصحو وينام على سؤال واحد : ما الذى كسبته اليوم ؟ ومن أجل المكسب فإنه يدوس الناس والقيم الإنسانية . فمثله الأعلى هو النجاح .. النجاح بأى ثمن . ولكى يحقق النجاح ينافس الآخرين . وعندما ينافسهم يكرههم ويحقد عليهم . والحقد يدفعه إلى الجريمة . والجريمة تكبر فتصبح حرباً .. تشنها دولة على دولة .. دولة تريد أن تبيع بالقوة وتكسب بالقوة . ومن أجل المكسب تحرق الزرع وتطحن الحيوانات .. وتدفن الناس .. وحيث توجد التجارة الجشعة توجد الطبقات . والحقد الطبقى . والاحتكارات .. والاستغلال والانهيارات العصبية . والصفحات السوداء فى تاريخ الإنسانية كتبها التجار بدماء الزبائن . . بدماء المستهلكين !

والنوع الثالث هو الذى يسأل نفسه دائماً : ما الذى أستطيع أن أضيفه لحياة الناس ؟ .. ما الذى أستطيع أن أعطيه ؟ .. إنه فنان يتذوق الحياة ويفهم معناها . ويحرص على أن يقدم للناس شيئاً ، يجعل لحياتهم معنى . ويجعل للمعنى هدفاً . ويجعل الطريق إلى الهدف مفروشاً بالحب والسلام والتعاون بين الناس . إن مثل هذا النوع من الناس يعطى راحته .. ويبذل حياته .. وكل الذين ساهموا فى إسعاد الإنسانية لا يمكن أن يكونوا تجاراً للحياة .. ولا يمكن أن يكون الاستغلال أسلوبهم .. ولا النجاح بالدماء شعارهم من أجل إسعاد البشرية!

وإذا كانت السعادة هى الغاية التى يريدها كل إنسان . فإن أحداً لا يعرف — بالضبط — ماذا تعنيه كلمة السعادة . إنها مثل الصحة — نحسها ولا نعرف ماهى .. إنها مثل الكهرباء نعرفها ولا نراها فالسعادة ليست برتقالة نقطفها ونقشرها ونأكلها بعد ذلك .. إنها مجموعة أشياء كثيرة معاً ..

وإذا بحثنا عن السعداء نجد أنهم هؤلاء الذين يغرسون شجرة ويبنون بيتاً ويؤلفون قصيدة .. هؤلاء الذين يملأون وقتهم بالعمل المفيد. فالسعادة هى أن يجد الإنسان نفسه مشغولا بشىء مفيد.. وأن يجد هذا الانشغال لذيذاً!

مشكلة الجيل الجديد ...

مشكلة الجيل الجديد ـ تعبير تراه كثيراً فى كل صحف ومجلات العالم . ومعنى ذلك أن للجيل الجديد مشكلة أو أنه هو مشكلة الدنيا كلها .. أى أن هذه المشكلة « ظاهرة » اجتماعية ونفسية واقتصادية . وتكرار هذا التعبير معناه أن الموقف لم يتغير ، وأنه لا بد من حل ، وأن هذا الحل مطلوب بسرعة .. فهذه الأجيال الجديدة هى التى سوف تتسلم التركة الهائلة التى صنعها الآباء والأجداد بالعرق والدم ، أو بالعرق بلا دم ، أو بالدم بلا عرق .. وتعبير « الجيل الجديد » يبرز جداً كلما وقعت جريمة بطلها شاب . كأن الشبان وحدهم هم الذين يرتكبون الجرائم .. فإذا ارتكبها رجل عجوز لا تعد جريمة .. كأن تشتعل حرب عدوانية على شعب آمن ، ويروح ضحيتها ألوف من الشبان ، لا تكون هذه الحرب جريمة ـ فيتنام مثلا !

ومع ذلك فالجيل الجديد مشكلة . وهى ليست مشكلة هذا العصر بالذات ، وإنما مشكلة كل عصر ، ففى كل عصر جيل جديد وجيل قديم ، والذى يصف الجيل الجديد بأنه مشكلة إنما هو الجيل القديم !

ومشكلة الجيل الجديد الآن أنه لا يريد أن يرتبط .. لا يريد أن يكون مسئولا .. وإنما يريد أن يكون حلقة بلا سلسلة ، وأن يقف وحده ويترك المسرح لغيره ، ثم يخرج من منتصف المسرحية ، أو ينام فى أثناء التمثيل !

وانتشار المخدرات بين الشبان فى أمريكا - مثلا- ليس إلا نوعاً من الهرب من مواجهة مجتمع يطحنه طحناً ويتجاهله تماماً . فالمثل الأعلى فى المجتمع الأمريكى : وكل المجتمعات الرأسمالية هو النجاح بأى ثمن ! النجاح بالغش وبالقتل .. ولا يهم أبداً أن يكون المواطن هو الضحية .. والمواطن هو المستهلك الذى تبيعه وتشتريه وتحييه وتميته شركات الطعام والشراب والدواء والسلاح !

ولكى يرتبط الشبان ويصبحوا حلقات فى سلسلة واحدة لابد أن تكون لهم قضية .. وأن تكون لبلادهم قضية إنسانية . ولابد من توعيتهم وتبصيرهم بمشاكل بلدهم ومشاكل العالم . ولابد من تجنيدهم من أجل هدف إنسانى ولابد من «تهديف» أفكارهم وأحلامهم . ولا خوف من الهدف ووضوحه وقوته مادام من أجل الحياة واستمرار الحياة الكريمة .

ولذلك يتضاءل باستمرار عدد الشبان المتفرجين فى بلادنا .. لأننا جميعاً أصحاب قضية إنسانية وأننا دعاتها وحماتها ..

جرائم بحسن نية . . .

أصبحت « الخادمات » فى البيوت مشكلة — وقبل أن تغضب لاستخدامى كلمة « الخادمات » أبادر فأقول بأننا جميعاً نخدم بعضنا بعضاً .. فأنا خادمك وأنت خادمى .. وكلنا نخدم مصالحنا فى إطار الدولة !

وقد سمعت فى مدى شهر عن عشرات المشاحنات والمشاجرات بين خادمات البيوت وسيدات البيوت . وهى مشكلة ليس من السهل حلها الآن . فسوف تكون هناك خادمات فى البيوت . ولا يغير من هذا الوضع أن تعدل كل النساء عن العمل خارج البيت إلى البقاء فى البيت . فسيدة البيت لا تستطيع وحدها أن تقوم بكل العمل مثل صابون أومو !

وحتى فى البلاد التى استخدمت آلات الطبخ والنظافة الحديثة لم تستطع أن تستغنى عن الخادمة أو مربية الأطفال أو مديرة البيت — إذن سوف تبقى هناك خادمات فى البيوت .

وقد سبق أن شكوت من الأفلام التى يعرضها التليفزيون والتى تقوم فيها بدور الخادمة أجمل فتيات الشاشة عندنا ، وتقوم بدور سيدة البيت نساء أقل جمالا . وينتهى الفيلم نهايته الطبيعية المعروفة من أول لحظة : بأن يتزوج سيد البيت أجمل من فى البيت : الخادمة !

والمطبات التى تقع فيها سيدات البيوت عادة هى أن يشاهدن هذه الأفلام مع خادماتهن !!

وهذه الأفلام تستهوى عدداً كبيراً من الناس .. عدداً كبيراً

من اللاتى يحلمن بزواج الرجل الغنى .. أو بالانتصار على المرأة أم العيال .. كما أن هذه الأفلام تشعل نار الحقد الطبقى وتغرس فى نفوس الناس موقفاً شاذاً وتوهمهم بأن الموقف الطبيعى : أن يكون الزواج خطفاً .. خطف الخادمة لسيدها وطرد سيدتها وأولادها !

وسوف يحدث مثل هذا وأكثر من هذا .. فالكراهية والحقد والطمع لا تاريخ لها .. فقد ولدت وكبرت وتطورت مع الإنسان نفسه .

ولكن ما الذى يجب أن نفعله نحن الذين نحمل مسئولية التوجيه والتوعية ؟ هل ننافق كل من يعمل عند أحد ؟ هل نظل نؤكد للخادم أنه على حق وسيده غلطان ؟ هل نؤكد للساكن أنه على حق والمالك غلطان ؟ هل نؤكد للموظف أنه على حق دائماً ورئيسه غلطان ؟

إن التأكيد على هذه المعانى تضليل وتخريب للقيم الاجتماعية والأخلاقية . والفن ليس إلا نوعاً من تطهير النفوس وإمتاعها بكل معنى جميل وقيم صحية. والفنان ليس إلا طبيباً لأمراض النفوس والأجسام والعلاقات الاجتماعية . .

إن معظم الحوادث التى سمعت عنها . وأصدقها . كانت تهوراً من الخادمات .. لم تكن لديهن أية أسباب وجيهة .. وإنما لديهن عبارات سمعتها فى فيلم . أو قرأتها فى قصة . وكذلك كل موظف اعتدى على رئيسه لم يكن إلا ضحية لوجبة دسمة من النفاق الذى طبخه بعض المؤلفين بحسن نية — وما أكثر الجرائم التى يرتكبها الناس بحسن نية !